بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على سيد المرسلين .. وآله الطيبين الطاهرين .. وصحبه الميامين .. وبعد:

يواجه المجتمع الإسلامي في العصر الحديث جملة من التحديات سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي أو العقدي أو الاجتماعي أو الفكري أو التربوي، ولاشك أن أي نوعية من هذه التحديات كفيلة بزعزعة استقرار وتطور المجتمع، بل ربما ترديه الى المهالك والإفلاس الحضاري والحقيقة ان الواقع الإسلامي المعاصر هو صورة عملية وانعكاس لهذه التحديات حتى انكفأ المجتمع وعجز عن مسايرة المجتمعات الإنسانية المعاصرة التي بنت لنفسها وجودا وظهورا حقيقيا، رغم الفوارق العقدية.

ولسنا في هذا البحث في صدد وضع العلاجات لكافة آفات المجتمع الإسلامي ولكن سنحصر اهتمامنا بقضية محدودة وهي أثر مسمى الإيمان على الواقع.

الأهمية:

هذا الموضوع ربما هو حديث الساعة وهو من أخطر التحديات المعاصرة للأمة، فموضوع التكفير واستباحة الدماء وتداخله في عمق الصراع الحضاري للأمة وهو من اخطر المسائل المطروحة والتي تتبناها دوائر التخطيط الغربي بعمقها الصهيوني في أيدلوجيته في الصراع مع الإسلام .

وقد أصبح واقعاً أنّ هناك جماعات تكفيرية عالمية متنوعة تأخذ على عاتقها تمثيل الإسلام بشكل مشوه رغماً عنه في الصراع الحضاري المعاصر.

هكذا أراد وخطط الأعداء بأن تكون هذه المجاميع الممثلة الوحيدة للإسلام وقمع أي توجه عقلاني متوازن للإسلام الحقيقي، ومن هنا كان مكمن الخطورة حيث أن العدو هو من يختار من يمثل الإسلام في الصراع معه، وكذلك هو من يختار الساحة والوقت والظرف المناسب للمعركة.

وقدّ ألف الكثير من مفكري الإسلام قديماً وحديثاً في هذا الموضوع ، مابين ناقد لمنهجية التكفير واعتباره من الغلو الباطل والتطرف، أو أنه فكر شاذ لايمثل فكر الأمة المعتدل، أو أنه فكر وليد لردود فعل عكسية للواقع، وأن هذا الفكر هو الفكر الحقيقي للأمة، هكذا

العدد ٥٧

٢٢ رجب ١٤٤٠هـ

٣٠ آذار ٢٠١٩م

تعددت وجهات النظر حسب الزاوية التي ينظر منها المؤلف أو مستوى الفهم له أو ماهو المسموح من الطرح في علاج هذا الفكر والموجات التكفيرية المتوالدة منه.

الحقيقة التي نريد أن نشير إليها أن هذا الفكر لم يكن فكرا جديدا من حيث التأصيل بل له جذور قوية في تاريخ الأمة، وان زمن ظهوره كان في زمن خير قرون الأمة وهو جيل الصحابة والتابعين، فهذا الفكر ظهر في العهد الراشدي للأمة بل إن هذا الفكر هو الذي أنهى العهد الراشدي وذلك عندما استطاع أتباع هذا الفكر من قتل الخليفة الراشدي الرابع سيدنا علي رضي الله عنه، واستمر هذا الفكر بعد ذلك طيلة العهد الأموي، ثم استمر إلى عصر الخلافة العباسية، بل واستمر في دفعاته الى مطلع القرن الرابع الهجري، بمعنى أن القرون الثلاثة الأولى والتي تمثل خيرية الأمة الإسلامية كان فيها للخوارج رايات ظاهرة ؛ وكانت تغرف الألف من شباب الأمة كما هو معروف، بل أقول بحسرة أنّ علياً (عليه السلام) قاتلهم بالنهروان فأبادهم ولم يبق منهم إلا عشرة أنفر فقط؛ خرجوا هائمين على وجوههم ولكن بعد ستة أشهر فقط كان هؤلاء العشرة قد تحولوا الى ما يقارب ستة ألاف مقاتل يقاتلون على قلب رجل واحد وهنا نتساءل مهم كيف استطاع هذا الفكر الانتشار في مجتمع كانت الخلافة الراشدة قائمة فيه؟ وكيف اقنعوا الشباب بهذا الفكر؟.

الأمر الأغرب أن هؤلاء ظهروا في عصر الخلافة الراشدة بل تمكنوا من قتل الخليفة الرابع رضي الله عنه واستمروا بعده بخروجات لا حد لها حتى أنهكت الأمة وعانت منهم طيلة القرون الثلاثة الأولى، ثم توقفت هذه الدَفعات في مطلع القرن الرابع، ثم غابوا إلى مطلع القرن العشرين كيف غابوا؟ ولماذا؟.

ومن الذي قطع أمرهم خلال عشرة قرون؟ ومن الذي أحياهم من جديد؟ هذه التساؤلات التي يجب على الأمة أن تجيب عنها بوضوح وبقوة كي تتحدد الحقائق ونعرف حقيقة ماحصل.

انقطاع موجات التفكير لم يكن عبثا، بل كان سبب مشروع دقيق استوعب موضوع التفكير من كل جانب ثم وضع العلاجات الشافية، وهذا المشروع كان عبارة عن ثلاث حلقات متداخلة:

الأول: تأصيل معنى الإيمان والكفر، وضبط متى يرتد المسلم.

الثاني: التكفير من أدق أحكام ومسائل الفقه الكبيرة، لهذا لايصح لأحد أن يحكم به الا الراسخ في العلم، فالراسخون فقط من لهم الأهلية في الخوض بتفاصيل التكفير والحكم بالردة.

الثالث: تنزيل أحكام التكفير وهذه المسألة حصروها بأن تكون ضمن جهاز القاضي، فالقاضي هو من ينزل حكم المرتد بعد إقامة الحجة عليه وبعد الاستتابة وانقطاع الأمل، ولا يحق لمن هب ودب أن ينزل أحكام التكفير بمفرده.

بهذه الحلقات الثلاثة انقطع التكفير طوال عشرة قرون من تاريخ الأمة، من بدايات القرن الرابع الى القرن الرابع عشر من الهجرة الميمونة، وهذا الوقت مقترن بظهور الاشاعرة والماتريدية على الساحة.

تأصيل مسمى الإيمان

عرّف السلف الإيمان بقولهم: هو قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان، وهذا منقول من غالب أئمة السلف من عصر التابعين الى الائمة في القرون الثلاثة الاولى.

والحقيقة أن الإيمان الشرعي يدور حول هذه المكونات الثلاثة، ولكن المتقدمين من السلف لم يحددوا طبيعة علاقة هذه المكونات الثلاثة مع أصل الإيمان، وبالاستقراء وجدنا أن الخلاف الحقيقي مع كل مجاميع التكفير وعلى رأسهم الخوارج هو العمل، فاذا جعلنا العمل ركناً في مسمى الإيمان تكون النتيجة الطبيعية هي التكفير، فمن هدم ركنا من أركان الشيء فقد تهدم الكل.

والنتيجة الطبيعية هو الحكم على المقصر بالعمل وهذا ماقالته الخوارج وتبنته علنا من خلال الواقع العملي لهم.

وإذا جعلنا العمل شرطا لصحة الإيمان كذلك سنحكم بتكفير كل من فقد الشرط، وهذا بالمؤدى كذلك يؤدي الى التكفير ؛ لان تارك الركن وتارك الشرط كلاهما يفسد الأمر على الفرق بين الركن والشرط لكن المؤدى واحد ، وهذا ماقال به المعتزلة وبعض جماعات التكفير المعاصر.

أماأهل السنة فقد جعلوا العمل شرط كمال للإيمان ، وبهذا تحدد مسمى الإيمان عندهم فلم يكفروا إلا من فرط بالعمل اجمالاً، وهذا هو التوسط والاعتدال الحق فهذا التوسط والاعتدال الذي حمى الأمة من الشذوذ والتطرف الذي وقع به الخوارج وسار على نهجهم

العدد ٥٧

٢٢ رجب ١٤٤٠هـ
٣٠ آذار ٢٠١٩م

غالبية مجاميع التكفير المعاصر.فما بين التكفير والإرجاء وقف أهل السنة والجماعة باعتدال وإنصاف، فكل من جعل العمل ركناً لمسمى الإيمان فهو خارجي، وكل من جعل العمل شرط صحة الإيمان فهو مكفر ايضا، وكل من اخرج العمل من مسمى الإيمان فهو مرجئي، وكل من جعل العمل شرط كمال لمسمى الإيمان فهو المسلم الحق .

فهذه هي العلامة الفارقة الدقيقة بين التوجهات الموجودة، فالعمل هو نقطة الانطلاق الى التكفير ولهذا التركيز عليه في العلاج هو صمام الأمان من التكفير، وقد وضع الاشاعرة قواعد دقيقة للتعامل مع العمل وتبعات ذلك تكفير الامة.

فهذا البحث فيه مدارسة دقيقة للتكفير وبيان المحاضن له وكيفية توليده في مجاميع فرق التكفير المعاصر.

تألف البحث من مقدمة ومبحثين ويشتمل كل بحث على مطلبين على وفق الآتي:

المبحث الأول : حقيقة الايمان والكفر وفيه :

المطلب الأول: تعريف الإيمان.

المطلب الثاني: حقيقة الكفر.

المبحث الثاني: العلاقة بين الإيمان وأعمال الجوارح وثمار ذلك وفيه :

المطلب الأول: علاقة الإيمان بأعمال الجوارح.

المطلب الثاني: ثمار الإيمان في أعمال الجوارح .

ثم كانت الخاتمة التي أوضحنا فيها مجمل النتائج التي توصلنا اليها عبر مضامين البحث.

والله نسأله القبول والسداد

العدد ٥٧

٢٢ رجب ١٤٤٠هـ

٣٠ آذار ٢٠١٩م

المبحث الأول: حقيقة الإيمان والكفر

المطلب الأول: تعريف الإيمان :

١ . الإيمان لغةً له معنيان :

الأول : هو الأمن، أي إعطاء الأمن والأمان ، الذي هو ضد الخوف، وأمنته ضد أخفته، قال تعالى: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾سورة قريش : الآية ٤ ، ومنه اسم الله تعالى (المؤمن) ومعناه أمن عباده أن يظلمهم .

الثاني: التصديق، والتصديق ضد التكذيب. قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾سورة البقرة : الآية ٧٥، والتصديق يتضمن الأمن والأمان، ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾سورة يوسف : الآية ١٧، ولهذا يقدم هذا المعنى على غيره، وقيل : إن تعدى بنفسه يكون معناه التأمين أي إعطاء الأمان، ومنه قولهﷺ: ((النجوم أمنة السماء)) [١] ، الأمنة جمع أمين وهو الحافظ[٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾سورة البقرة : الآية ١٢٥ ، وقوله تعالى : ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾سورة التين : الآية ٣ ، أي ذا أمن فهو أمن، ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾سورة الدخان : الآية ٥١ ، أي أمنوا فيه التغير، الأمنة الأمانة نقيض الخيانة ، وإن تعدى بالباء يكون معناه التصديق ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾سورة يوسف : الآية ١٧ [٣] .

وهذان المعنيان هما محل اتفاق عند أهل اللغة والاختصاص ، وإليه ذهب معظم أهل التفسير، قال ابن كثير : " أما الإيمان في اللغة فيطلق على التصديق المحض، وقد يستعمل في القرآن والمراد به ذلك كما قال الله تعالى : ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾سورة التوبة : الآية ٦١ ، وكما قال إخوة يوسف لأبيهم : ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾سورة يوسف : الآية ١٧ ، وكذلك إذا استعمل مقروناً مع الأعمال كقوله تعالى : ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾سورة الشعراء : الآية ٢٢٧ "[٤]

٢ . الإيمان اصطلاحاً:

الإيمان في الشرع : تصديق خاص ، وهو تصديق الرسول ﷺ في كل ما جاء به ، وهو غير الإسلام ، والدين؛ فإنهما الانقياد ، والعمل الظاهر[٥] ، والإيمان : هو التصديق المعهود شرعاً[٦] .

وهو تصديق النبي(ﷺ) في كل ما جاء به ، وعلم من الدين بالضرورة [٧] .

يقول الإيجي : " فهو عندنا وعليه أكثر الأئمة كالقاضي والأستاذ التصديق للرسول فيما علم مجيئه به ضرورة ، فتفصيلاً فيما علم تفصيلاً وإجمالاً فيما علم إجمالاً "[٨] .

والمراد بتصديق النبيﷺهو : الإذعان لما جاء به ، والقبول به ، والاتباع له ، وليس المراد بالتصديق وقوع نسبة الصدق إليه في القلب من غير إذعان وقبول حتى يلزم الحكم بإيمان كثير من الكفار الذين كانوا يعرفون حقيقة نبوته ورسالته ﷺ ومصداق ذلك قوله تعالى﴿يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾سورة البقرة : الآية ١٤٦ فقال عبد الله بن سلام ﷺ:" لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني معرفتي بمحمد (ﷺ) أشدّ"[٩] .

والمراد بتصديقه (ﷺ) في كل ما جاء به ، وعلم من الدين بالضرورة : أي تصديقه فيما اشتهر بين أهل الإسلام وصار العلم به يشابه العلم الحاصل بالضرورة بحيث يعلمه العامة من غير افتقار إلى نظر واستدلال[١٠] .

فالضروري كالمسموع من فم النبي (ﷺ) أو المنقول عنه بالتواتر كالقرآن والصلوات الخمس وصوم رمضان وحرمة الخمر والزنا، وقيل : الضروري ما يقابل الاستدلال، وقيل : المراد بالضروري : الاشتهار بين الخاصة والعامة ضرورياً كان الحكم أو استدلالياً، وقيل : الضروري هو اليقين ، فلا يكفر بإنكار الظني ، كالثابت بالاجتهاد أو خبر الواحد[١١] .

ويقول ابن حجر: " الإيمان لغة التصديق، وشرعاً تصديق النبي(ﷺ)

فيما جاء به من ربه وهذا القدر متفق عليه "[١٢].

ويقول الملا علي القاري: " وذهب جمهور المحققين إلى أن الإيمان هو التصديق بالقلب "[١٣] .

فالشيخ يؤكد هنا أن القول بالتصديق هو قول جمهور المحققين ، ويؤكد ذلك ابن حجر: " إن المراد بالإيمان هنا التصديق هذه حقيقته ، والإيمان كما تقدم يطلق على الأعمال لأنها من مكملاته "[١٤] .

يقول الشيخ عبد السلام اللقاني : " نعلم من النظم قولان : أحدهما : أنّ الإيمان هو التصديق ، والنطق شرعاً لإجراء الأحكام الدنيوية على صاحبه أو لصحته، والثاني: أن الإيمان هو التصديق والنطق ، فالنطق شطر أي ركن وعلى هذين القولين العمل غير النطق شرط كمال[١٥] "[١٦] .

وذكر الإمام أبو ثور أن الإيمان تصديق بالقلب والقول باللسان والعمل بالجوارح، وذلك أنه ليس بين أهل العلم خلاف في رجل لو قال : أشهد أن الله عز وجل واحد، وأن ما جاءت به الرسل حق، وأقر بجميع الشرائع، ثم قال : ما عقد قلبي على شيء من هذا ولا أصدق به أنه ليس بمسلم ، ولو قال : المسيح هو الله وجحد أمر الإسلام، ثم قال : لم يعتقد قلبي على شيء من ذلك أنه كافر بإظهار ذلك وليس بمؤمن، فلما لم يكن بالإقرار إذا لم يكن معه التصديق مؤمناً ولا بالتصديق إذا لم يكن معه الإقرار مؤمناً حتى يكون مصدقاً بقلبه مقراً بلسانه، فإذا كان تصديق بالقلب وإقرار باللسان كان عندهم مؤمناً، وعند بعضهم لا يكون حتى يكون مع التصديق عمل، فيكون بهذه الأشياء إذا اجتمعت مؤمناً "[١٧] .

نتأمل في قوله : (كان عندهم مؤمناً) يقصد أهل السنة والإيمان عندهم منحصر بين (تصديق القلب وإقرار باللسان) وهذا واضح جداً بقوله، ثم يتابع فيقول : (وعند بعضهم لا يكون حتى يكون مع التصديق عمل فيكون بهذه الأشياء إذا اجتمعت) وهذا قول الخوارج والمعتزلة ويوافقهم عليه بعض أهل السنة من متطرفة الحنابلة وبعض أهل الحديث ، وقد أشار الإمام

أبو ثور إليهم بقوله بصيغة التقليل والتضعيف بقوله (وعند بعضهم)

وكل هذا حق وهو حجة على من زعم أن المعرفة المجردة عن الانقياد والخضوع والإذعان كافية لتحقيق الإيمان الشرعي وهذا هو رأي الجهمية وهو باطل بالاتفاق ، ولكن الذي يؤلم بالفعل هو الخلط المقصود بين هذا المعنى وبين التصديق القلبي الذي يقول به الأشاعرة والماتريدية ، فقد تظافرت النصوص عنهم بأنهم يقولون بالتصديق المعهود شرعاً وهو : تصديق نبينا محمد (ﷺ) في كل ما جاء به من الدين بالضرورة ، وهذا التصديق يجب أن يكون تصديقاً جازماً مع الانقياد والإذعان والإتباع والمحبة والمعرفة ، فالتصديق الجازم ينافي الكذب والشك، والانقياد ينافي عدم الخضوع والإذعان ينافي العناد والإتباع ينافي الرد ، والمحبة تنافي البغض، والمعرفة تنافي الجهل[١٨] .

وهذا الوصف الذي يذكره الأشاعرة هو ما يعبر عنه بعض المتأخرين من الحنابلة بشروط لا إله إلا الله ، وهم لا يعلمون أن هذه المفردات المشروطة متوافرة في ثنايا كلام الأئمة من أهل السنة[١٩] .

وهذا التصديق القلبي الذي أراده الأشاعرة والماتريدية وافقهم عليه اتباع المذاهب الثلاثة من المالكية والحنفية والشافعية وكثير من فضلاء الحنابلة وأهل الحديث ، بل هذا هو رأي المحققين من أهل السنة والجماعة من أهل الحديث والفقه والكلام .

وهذا هو الرأي القاطع لكل تأصيل خارجي جديد أو لمن سار على نهجهم وهو يظن أن هذا هو مذهب السلف المعتمد .

والحقيقة أننا لا نجد مسوّغاً مُقنعاً لهذا الخلط المقصود ولاسيما إنّ القائمين به هم أئمة كبار متوسعون بالعلم ومن البعيد جداً غفلتهم عن الحقيقة .

وهذا الخلط سبب فراقاً وابتعاداً وصراعاً بين أفراد الأمة ولاسيما بالأزمنة الأخيرة عندما بدأ البعض يتكسب بهذه الصراعات الموهومة وذلك

بالتركيز عليها وتضخيمها حتى أصبح المتأخرون منهم يتلفظون بألفاظ ومفردات كان السلف يتورعون عن إطلاقها بحق أعتى الخصوم ، وهؤلاء بمنتهى التجاسر يعممون أحكام التكفير والتفسيق والتسفيه بحق أكابر الأمة وسلفها من غير تورع أو تأدب ولا حول ولا قوة إلا بالله[٢٠] .

المطلب الثاني: حقيقة الكفر

سيتناول هذا المطلب حقيقة التكفير ومعناه في الكتاب والسنة ومصطلحات العلماء .

أولاً . الكفر في اللغة :

يطلق الكفر في اللغة على الستر والتغطية [٢١] .

ويقال لمن غطى درعه بثوبه قد كفر درعه، فالكافر : الذي كفّر درعه بثوب، أي : غطاه ولبسه فوقه، فأصل الكفر تغطية الشيء تغطية تستهلكه . وكل من ستر شيئاً فقد كفرهَ وكفّره، وتقول العرب للزرّاع : كافر لأنه يَكفرُ البذر والمبذور بتراب الأرض المثارة، ومنه قوله تعالى : ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾سورة الحديد : الآية ٢٠ فالكفار هنا الزُراع الذين غطوا البذر بالتراب[٢٢].

ويقال : كافرني فلان حقي ، أي : جحده ، فالكفر : جحود النعمة مع سترها . فالكفر بوصفه جحود النعمة هو نقيض الشكر ، فالكفر ضد الإيمان لأنه تغطية الحق سواء أكان بالجحود أو ما يقوم مقامه من قول أو عمل أو اعتقاد[٢٣] .

ثانياً . الكفر في الاصطلاح :

الكفر هو خلاف الإيمان ، وهو عند كل طائفة مقابل لما فسر به الإيمان، والكفار في الشرع صنفان :

الصنف الأول : كفار أصليون، وهؤلاء لم يدخلوا في دين الإسلام أصلاً ، وهؤلاء على أنواع متعددة منهم : الدهريون ، والمشركون ، والوثنيون... وغيرهم من أمم الكفر، فهؤلاء قد دل على كفرهم الكتاب والسنة والإجماع ، وأمرهم معلوم من الدين بالضرورة، وكفر هؤلاء مبني على عدم إيمانهم بالإسلام، وعدم تصديقهم بالنبي (ﷺ).

الصنف الثاني : المرتدون وهؤلاء بالأصل منتسبون إلى الإسلام ولكن صدر منهم ما يستوجب الكفر والردة، من اعتقادٍ أو فعلٍ أو قولٍ كفري ، يُناقض الإسلام فيرتدون عنه، وهؤلاء هم المقصودون بالمطلب .

فالكافر ما يقابل المسلم ، والمرتد : هو الذي كفر بعد إسلامه بقول أو فعل أو اعتقاد .

يقول ابن حزم: "من جحد شيئاً مما افترض الله تعالى الإيمان به بعد قيام الحجة ببلوغ الحق عليه، بقلبه دون لسانه أو بلسانه دون قلبه أو بهما معاً، أو عمل جاء النص بأنه مخرج له بذلك عن اسم الإيمان "[٢٤] .

وقال الرازي: " والكفر في أصل اللغة هو الستر، ومعنى الستر لايتحقق إلا في حق المعاند الذي عرف الدليل ثم أنكره، أوفي حق المقلد المصر الذي يعرف من نفسه أنه لا يعرف الدليل على صحة الشيء، ثم إنه يقول به، فأما العاجز المتوقف الذي بالغ في الطلب فلم يصل فهذا لا يكون ساتراً لشيء ظهر عنده، فلا يكون كافراً "[٢٥] .

وقال القرافي : " أصل الكفر إنما هو انتهاك خاص لحرمة الربوبية، إما بالجهل بوجود الصانع أو صفاته العلا ، ويكون الكفر بالفعل كرمي المصحف في القاذورات، أو السجود للصنم، أو جحد ماعلم من الدين بالضرورة "[٢٦] .

وعرّفه ابن القيم بعد أن قسم الكفر على نوعين (كفر جحود وعناد وكفر عمل) فقال : كفر الجحود " أن يكفر بما علم أنّ الرسول (ﷺ) جاء به من عند الله تعالى جحوداً أو عناداً، من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه،

وهذا الكفر يُضاد الإيمان من كل وجه "[٢٧] .

وقال في موضع آخر : " الكفر جحد ماعلم أن الرسول (ﷺ) جاء به، سواء أكانت المسائل التي يسمونها علمية أو عملية ، فمن جحد ما جاء به الرسولﷺبعد معرفته بأنه جاء به كافر في دقّ الدين وجله "[٢٨] .

وقد عرفه الإيجي بقوله : " وهو عدم تصديق الرسول (ﷺ) في بعض ما علم مجيئه به ضرورة "[٢٩] .

وقال السبكي عن الكفر هو : " كل اعتقاد أو قول أو فعل حكم الشرع بأنه كفر ، كجحد الربوبية أو النبوة أو جحد ما جاء به النبي . صلى الله عليه وسلم . أو جحد بعضه "[٣٠] .

وقال الزركشي رحمه الله :" الكفر هو إنكار ما علم ضرورة أنه من دين محمد صلى الله عليه وسلم ،كإنكار وجود الصانع، ونبوته عليه الصلاة والسلام، وحرمة الزنا ونحو ذلك "[٣١] .

ويبين ابن حجر الهيثمي سبب هذا التكفير بقوله : "التكفير حكم شرعي " ثم يقول : " وهو قول أو فعل حكم الشارع بأنه كفر وإن لم يكن جحداً"[٣٢] .

وقيل الكفر : " هو جحد ما جاء به الرسول . صلى الله عليه وسلم . أو جحد بعضه "[٣٣] .

وقيل الكفر: " هو الاعتقاد أو القول أو العمل المنافي للإيمان . وهو على شعب ومراتب متفاوتة "[٣٤] .

كل هذه النقولات تمثل رأي أهل السنة والجماعة في تحديد معنى الكفر شرعاً ، وفي مقابل ذلك كان للخوارج والمعتزلة والمرجئة والجهمية آراء أخر ، فقد نقل البغدادي والشهرستاني وغيرهم من المتخصصين بالفرق خلاصة هذه الأقوال .

فمثلاً يقول البغدادي : " قالت الخوارج : كل من ارتكب ذنباً فهو

كافر"[٣٥] .

وينقل الشهرستاني إجماع الأزارقة : " على أنّ من ارتكب كبيرة كفرَ كفر ملة ، وخرج به عن الإسلام جملة ، ويكون مُخلداً في النار مع سائر الكفار "[٣٦] . إذاً الكفر عندهم هو مطلق المعصية .

وفي مقابل الخوارج يأتي قول المرجئة والجهمية والكرامية، إذ إنّ الجهمية ضيّقوا مفهوم الكفر بل عطّلوه كلياً وذلك باكتفائهم بمطلق المعرفة لثبوت الإيمان والذي لا يزول أبداً، مهما تلبس صاحبه بالأقوال والأفعال الكفرية . وقارب هؤلاء الكرامية الذين اكتفوا بمجرد الإقرار اللساني كتعبير عن الإيمان الدائم والذي لا يتأثر بالأقوال والأفعال والاعتقادات مهما تناقضت مع الإيمان، إذ يتساقط مفهوم الكفر كلياً عندهم أيضاً، ويقارب هؤلاء نسبياً المرجئة المحضة الذين اكتفوا بالإقرار والمعرفة القلبية المجردة لمعنى الإيمان الكامل والذي لا ينقص أبداً مهما تلبس صاحبه بالمعاصي ، ولو أتى بكل الكبائر وترك كل الفرائض، فهو مؤمن كامل الإيمان ، وإيمانه كإيمان أبي بكر وعمر رضي الله عنهما [٣٧] .

هذه الفرق الثلاث تكاد لا تجد لها مفهوماً واضحاً لمعنى الكفر الشرعي وبالنتيجة كان لها أخطر الآثار في تعطيل الشريعة في واقع الحياة؛ لأن الشريعة عبارة عن جملة من الأوامر والنواهي التي لا تتحقق واقعاً إلا من خلال الالتزام بالعمل الشرعي، فهذه المسالك بلا شك تعطل العمل كلياً وبالنتيجة تتميع الشريعة وتتوقف الحدود وتنكفأ القيم وتضيع الحقوق وتفرغ الشريعة من كل محتوى، فهذه شريعة الغاب والإباحية المطلقة وهي عودة بالإنسان إلى الوراء إلى العصور المظلمة المتخلفة .

وقبل أن ننهي هذا المطلب هناك جملة من الحقائق تحتاج إلى بيان وهي :

١. إنّ عامة العلماء حين يُعرفون الكفر شرعاً إنما يحصرونه بالكفر الأكبر، وهذا معناه أنهم لا يرون الكفر الأصغر من الكفر المخرج

من الملة ، وصاحبه ليس كافراً بل هو باق على أصل الإسلام[٣٨]

٢. الكفر حكم شرعي بمعنى إن الله تعالى أمر عباده بالاعتقاد بوحدانيته سبحانه ووجود ملائكته والتصديق برسله وكتبه ، وشرع لعباده تشريعاً يحقق لهم سعادة الدارين ، فمن أنكر شيئاً مما علم من الدين بالضرورة حكم بردته وكفره ، فالحكم إذاً على أحد بكفر لا يكون إلا بما حكم الله ورسوله(ﷺ) بذلك ، فكل فعل أو قول أو اعتقاد لا يكون كفراً إلا بنص الكتاب أو السنة أو الإجماع ، فالكافر من كفره الله ورسوله (ﷺ) .

٣. الأصل في المسلم الإسلام ما لم تقم بيّنة أوضح من شمس النهار على كفره وردته .

٤. الأصل أن المرتد هو إنسان مجاهر بكفره ، داع إلى ضلالته قد أعلن خروجه عن الدين بل عن المجتمع الإسلامي ، وتربص بالمسلمين الدوائر ، أما من كتم عقيدته ولم يظهر ما يخالف الإسلام في الظاهر فأمره إلى الله ونعامله على حسب ما ظهر منه.

٥. الكفر الأكبر : هو الكفر الذي يمنع عن صاحبه صفة الإسلام ومسماه ، أو الذي يخرج صاحبه من ملة الإسلام ويرفع عنه حصانة الإسلام وحرمته ، فتجري عليه أحكام الردة ، وفي الآخرة يكون جزاؤه نار جهنم خالداً فيها ولا يُشمل بحق الشفاعة.

والكفر الأكبر هو نفس مدلول الكفر الاعتقادي أو الكفر البواح ويكون بمسميات مختلفة (كفر العناد ، الإنكار ، الكبر ، الجحود ، التكذيب ، الاستحلال ، الكره ، البغض ، الطعن ، الاستهزاء ، الإباء والإعراض) .

كل هذا من الكفر البواح ، وإن اجتمع أكثر من نوع يكون كافراً كفراً مغلظاً ومركباً ، فالكفر منه : الكفر المجرد ، ومنه الكفر المغلظ المركب .

والكفر الأصغر : هو كفر دون كفر : أي ليس بالكفر الذي يخرج صاحبه من الملة ولا يسلبه صفة الإسلام وحصانته ، وفي الآخرة تشمله

الشفاعة فلا يخلد في النار ، وهذا ما يعرف بالكفر العملي ، كفر النعمة ، كفر دون كفر ، الكفر المجازي[٣٩] .

إذاً الخلاصة في معنى الكفر اصطلاحاً : وهي أقوال أو أفعال أو اعتقادات تُخرجُ من الملة ، وهي تُناقض الإسلام مناقضة لا يجتمع معها بحال، كتكذيب النبي (ﷺ) ، أو إنكار المعلوم من الدين بالضرورة ، أو كل ما حكم الشرع بأنه مخرج من الدين والملة ، وكل هذه الأقوال أو الأفعال أو الاعتقادات يمكن أن تطرأ على المسلم العادي فترديه في جهنم وبئس المصير بعد انتفاء الموانع وتوافر الشروط ومن هنا تكلم الفقهاء عن أحكام المرتد في كتبهم المعتمدة كقضية فقهية مسلمة الوقوع .

المبحث الثاني: العلاقة بين الإيمان وأعمال الجوارح وثمار ذلك:

المطلب الأول: علاقة الإيمان بأعمال الجوارح:

إن من الأهمية بمكان معرفة العلاقة بين الإيمان الذي هو فعل قلبي وبين أعمال الجوارح، إذ عبر هذه العلاقة الوثيقة تتحقق العقيدة في القلب، وذلك أن المفاهيم متى ما غدت ثابتة وراسخة في النفوس، واطمأنت القلوب إليها، وأصبحت العواطف تتأثر بها، كانت عقيدة راسخة، وهذا المستوى من رسوخ المفاهيم مع طمأنينة القلب إليها، وتأثر العواطف بها، هو ما يطلق عليه لفظ (الإيمان) ومشتقات هذا اللفظ.

وهذا الإيمان هو الركن الأساسي الذي بدأ الإسلام به في تكوين شخصية المسلم؛ لأنه هو الجذر الأول في بناء شخصيته، وهو العنصر الأساس المحرك لعواطفه، والموجه لإرادته، ومتى ، صحت عناصر الإيمان في الإنسان استقامت الأساسيات الكبرى لديه، وكان أطوع للاستقامة على طريق الحق والخير والرشاد، وأقدر على التحكم بأنواع سلوكه، وضبطها فيما يدفع عنه الضرر والألم والمفسدة، وفيما يجلب له النفع والخير والمصلحة ، العاجل من كل ذلك والآجل.

وقد أدرك الباحثون حديثاً ـــ من غير المسلمين ـــ قيمة العقائد في توجيه سلوك الإنسان، فبدأوا يتحدثون عنها تحت عنوان " أيديولوجيات" ولكنهم لم يستطيعوا أن يصلوا إلى المستوى الذي وصل إليه الإسلام، إذ هو يبني في الفرد المسلم إيماناً، لا يضارعه ولا يشابهه أي عنصر اعتقادي (أيديولوجي) يحاولون غرسه في نفس الفرد من أفرادهم.

إننا نعتقد بوجود أشياء كثيرة من حولنا وهي عبارة عن ذوات وصفات، أو تسمى بتعبير آخر (جواهر وأعراض)، ونجد قلوبنا مطمئنة بما نعتقد به ليس فيها أدنى شك، وذلك كاعتقادنا بوجود ذواتنا وصفاتنا، وكاعتقادنا بوجود أشياء كثيرة من حولنا في الأرض والسماء، ولو جاء كل الناس لتشكيكنا فيما نعتقده من وجود هذه الأشياء لما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.؛ ذلك لأن علمنا

بهذه الأشياء تحول من ساحة الإدراك بالجوارح إلى خزانة العلم والمعرفة في عقولنا، ثم بمرور الزمن وتوارد الشواهد والأدلة التي تصدِّق علمنا يتغلل ذلك العلم فينا إلى أعمق المراكز وأثبتها في داخلنا، وعند ذلك يكون علماً راسخ الأسس، ثابت البنيان متين القواعد. ومتى استقر فينا هذا العلم الراسخ، أصبح يوجّه كثيراً من تصرفاتنا وأفعالنا، ويحرّك كثيراً من عواطفنا، ذلك أنه كما انعقدت أفكارنا وعقولنا على معرفته معرفةً غير قابلة للتشكيك، انعقدت عواطفنا عليه انعقاداً يرادف أفعالنا وحركاتنا، وحبنا وبغضنا، بطريقة شعورية أو بطريقة لا شعورية.

ومتى بلغ شعورنا بالشيء إلى حد أصبح يحرك عواطفنا ويوجه سلوكنا أصبح ذلك إيماناً واعتقاداً تخضع له جوارحنا بالطاعة[٤٠].

إن هذا البيان يوضح بشكل جلي طبيعة العلاقة بين الإيمان الذي هو معتقد راسخ وبين الجوارح التي خضعت لندائه، فاستجابت خاضعة منقادة لكل ما يوجهها به ذلك الإيمان الراسخ، لكن من أهم الأمور التي ينبغي إدراكها هو أن نوع هذه العلاقة بين الإيمان وأفعال الجوارح هو تلازم خارجي ليس إلا، فليس هناك تداخل بين الأمرين، فالاعتقاد شيء وفعل الجوارح شيء آخر، إلا أنهما متلازمان في هذه العلاقة من أجل تحصيل المقصود من وجود الإنسان في هذه الحياة.

وبناء على ذلك التلازم يجوز إطلاق الإيمان على فعل كل مأمور، وترك كل منهيٍّ، سواء أكان من أعمال القلوب، أو الجوارح، أو الألسنة أو الأبدان، لكونها جميعا ناتجة عن ذلك الإيمان ومن فوائده وثماره[٤١].

قال العز بن عبد السلام: الإيمان عبارة عن تصديق القلب حقيقة، وعن العمل بموجبات التصديق مجازاً، لأن العمل بمقتضى الإيمان من فوائده وثمراته وفروعه ومسبباته، والعرب يتجوزون بإطلاق اسم المثمر على ثمرته، واسم المسبّب على سببه وفائدته[٤٢].

ولترتيب العلاقة بين الإيمان الذي هو التصديق القلبي وبين أفعال الجوارح على وفق موازنة عقدية رصينة، تقي من الوقوع في الخلط العقدي والخبط الفكري في تحديد العلاقة بينهما، يمكن القول بأن الإيمان يكون اسماً مشتركاً بين فعل القلب واللسان والجوارح، وهو على ما يقال: إنه إقرار باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان، على أن لا يُجعل تارك العمل خارجاً عن الإيمان، بل يُقطع بدخوله الجنة، وعدم خلوده في النار؛ لأن الإيمان أصل وفرع، فأصله ما إذا تركه العبد كفر، كالمعرفة والتصديق، واعتقاد ما يجب اعتقاده من أحكام المكلفين، وفرعه ما إذا تركه العبد لم يكفر، ولكن يكون عاصياً في ترك البعض، كالصلوات المفروضات وغيرها من الواجبات، وفي البعض الآخر يكون تاركاً للأفضل، كالنافلة من الصلوات وغيرها[٤٣].

المطلب الثاني: ثمار الإيمان في أعمال الجوارح:

مضى معنا في المطلب السابق بيان العلاقة بين الإيمان الذي هو فعل قلبي وبين أعمال الجوارح، ومن خلال الاستقراء في نصوص القرآن الكريم وأحاديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يظهر عظيم الأثر للإيمان في الأعمال، وعظيم الأثر هي الثمار التي يجنيها العبد من اقتران الإيمان بالعمل الصالح، إذ إن العلاقة بينهما تزداد ترابطاً وقوة وتأثيراً بشكل تدريجي، فتصبح العلاقة بينهما علاقة متينة بشكل تناسب طردي بين الإيمان والعمل الصالح حصراً دون العمل السيء، فكلما قوي الإيمان واشتد في قوته انعكس ذلك إيجاباً على الأعمال الصالحة، فتزداد وتتعاظم فيتعاظم أجرها ونفعها على المسلم حينذاك، والعكس صحيح، إذ إن الإيمان كلما ضعف فإنه يضعف منسوب الأعمال الصالحة، لكنها لا تتحول إلى أعمال سيئة إلا الفسق أو الكفر والعياذ بالله، ولتأكيد ثبوت هذا الأثر نورد بعض النصوص الكريمة من القرآن الكريم وبعضاً من النصوص الشريفة من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام:

أولاً: أمثلة من القرآن الكريم دالة على ثمار اقتران الإيمان بالأعمال:

١. قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴾ سورة النساء: الآية ٥٧، فأهل

الإيمان هم الذين أطاعوا الله فأقاموا حدوده، وأدوا فرائضه، واجتنبوا محارمه، ومآلهم أنهم يدخلون الجنة خالدين فيها هم وأزواجهم(٤٤).

٢. قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ سورة مريم: الآية ٩٦، في الآية الكريمة بيان لثمر من ثمار أثر الإيمان في العمل الصالح أن الله تعالى يجعل لهم بسبب الأعمال الصالحة المقرونة بالإيمان وداً من المسلمين في الدنيا، والرزق الحسن، واللسان الصادق(٤٥)،فاله تعالى يحبهم ويحبب بهم خلقة، وفي ذلك يقول الإمام أبو منصور الماتريدي رحمه الله: في قلوب الأنبياء والأخيار وأصحاب الدّين؛ لأنهم إنما ينظرون إلى الإنسان لدينه ولخلوصه عمله لله وصفائه له لا إلى الدنيا وما تحويه يده(٤٦).

٣. قال الله عز وجل: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ سورة النحل: الآية ٩٧، في بيان المراد بالحياة الطيبة وردت سبعة تأويلات وهي:

أحدها: أنها الرزق الحلال ، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها القناعة ، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن البصري.

الثالث: أن يكون مؤمناً بالله عاملاً بطاعته ، قاله الضحاك.

الرابع: أنها السعادة ، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً.

الخامس: أنها الجنة ، قاله مجاهد وقتادة.

ويحتمل سادساً: أن تكون الحياة الطيبة العافية والكفاية.

ويحتمل سابعاً: أنها الرضا بالقضاء(٤٧).

ثانياً: أمثلة من الأحاديث النبوية الشريفة دالة على ثمار اقتران الإيمان بالأعمال:

١. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الجَنَّةَ، قَالَ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ المَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ» قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ أَزِيدُ عَلَى هَذَا، فَلَمَّا وَلَّى، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا»(٤٨).

فعبادة الله تعالى مبنية على الإيمان الخالص، وما بعد ذلك كله أعمال صالحة.

٢. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلهَ سَلَّمَ، قَالَ: « مَنْ فَارَقَ الدُّنْيَا عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، فَارَقَهَا وَاللَّهُ عَنْهُ رَاضٍ»(٤٩).

فالحديث متضمن لبيان ثمرة اقتران الإيمان بالعمل الصالح أن ذلك يورث رضا الله سبحانه وتعالى.

٢٢
رجب
١٤٤٠هـ
٣٠ آذار
٢٠١٩م

نتائج البحث

الحمد لله على ما أنعم ، والشكر له على ما ألهم والثناء بما قدّم ، ونصلي على أشرف الخلق وآله وصحبه ونذكر أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث:

١. إنه لم تسفك قطرة دم في الإسلام عقائدياً إلا تحت مظلة مسمى الإيمان ، وإن هذا المسمى هو الضابط لحرمة الدماء المسلمة ، وإن شريعتنا ما قامت إلا على حفظ المقاصد الخمسة والتي منها بعد حفظ الدين ، حفظ النفس ، والعقل والعرض والمال، وهذا مدعاة لمزيد من الاهتمام بالمسمى وأنه ضرورة شرعية لهذا العصر.

٢. إن الأشاعرة كانوا أكثر الناس ضبطاً ووضوحاً لمسمى الإيمان ، فقد حددوا بدقة ماهية الإيمان، ثم حددوا طبيعة علاقة الإقرار والعمل بهذه الماهية ، وهذا التأصيل هو الخطوة الأولى والأهم في علاج التكفير.

٣. إن فرق التكفير والغلو اشتركت جميعاً في عدم مراعاتها للحلقات الثلاث المذكورة الضابطة للتكفير أو لبعضها .

أ ـ ففي جانب التأصيل الفكري للتفكير قالوا بركنية العمل للإيمان أو بشرطيته كشرط صحة ، أو تركه عائماً من غير تأصيل .

ب ـ جعلوا الإفتاء في قضايا التكفير مفتوحاً لطلاب العلم والعامة من غير أن يحصر بالراسخين في العلم من أهل الإفتاء المتقدم .

ج ـ جعلوا تنزيل الأحكام بيد العامة ، أو لمن استطاع ذلك ، ولم يقصروه على القضاء الإسلامي.

٤. إن من الأهمية بمكان معرفة العلاقة بين الإيمان الذي هو فعل قلبي وبين أعمال الجوارح، إذ من طريق هذه العلاقة الوثيقة تتحقق العقيدة في القلب.

٥. الإيمان هو الركن الأساس الذي بدأ الإسلام به في تكوين شخصية المسلم؛ لأنه هو الجذر الأول في بناء شخصيته، وهو العنصر الأساسي المحرك لعواطفه، والموجه لإرادته، ومتى صحت عناصر الإيمان في الإنسان استقامت الأساسيات الكبرى لديه، وكان أطوع للاستقامة على طريق الحق والخير والرشاد.

٦. إن من أهم الأمور التي ينبغي إدراكها هو أن نوع هذه العلاقة بين الإيمان وأفعال الجوارح هو تلازم خارجي ليس إلا، فليس هناك تداخل بين الأمرين، فالاعتقاد شيء وفعل الجوارح شيء آخر، إلا أنهما متلازمان في هذه العلاقة من أجل تحصيل المقصود من وجود الإنسان في هذه الحياة.

٧. إن العلاقة بين الإيمان والعمل الصالح تزداد ترابطاً وقوة وتأثيراً بشكل تدريجي، فتصبح العلاقة بينهما علاقة متينة بشكل تناسب طردي بين الإيمان والعمل الصالح حصراً دون العمل السيء، فكلما قوي الإيمان واشتد في قوته انعكس ذلك إيجاباً على الأعمال الصالحة، فتزداد وتتعاظم فيتعاظم أجرها ونفعها على المسلم حينذاك.

والله الموفق وهو المستعان .

العدد ٥٧

٢٢ رجب ١٤٤٠هـ

٣٠ آذار ٢٠١٩م

الهوامش

(١) صَحِيْح ابْن حِبَّانَ بترتيب ابن بلبان ، لأبي حاتم مُحَمَّد بن حِبَّانَ بن أَحْمَد التميمي البستي ، (ت٣٥٤هـ) ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرِسَالَة ، بَيْرُوْت ، ط٢ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م : ٢٤٣/١٦ ، رقم (٧٢٤٩) .

(٢) ينظر: النِّهَايَة فِي غَرِيب الْحَدِيث والأثَر ، لمجد الدِّين أبي السعادات مُحَمَّد بن مُحَمَّد ابن عبد الكريم الشَّيْبَانِيّ الجزري المعروف بابن الأثير ، (ت٦٠٦هـ) ، تحقيق : زاهر أَحْمَد الزاوي ، ومحمود مُحَمَّد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بَيْرُوْت ، ط١ ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م : ٧٠/١ - ٧١.

(٣) ينظر: النهاية : ٧١/١ ، ولسان العرب : مادة (أمن) ٢١/١٣ - ٢٢ .

(٤) تَفْسِيْر الْقُرْآن العَظِيم المسمى بـ(تَفْسِيْر ابن كَثِير) ، لأبي الفداء عماد الدِّين إسماعيل بن عُمَر كَثِير القُرَشي الدِّمَشْقي ، (ت٧٧٤هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بَيْرُوْت ، ١٤٠١هـ : ٤١/١.

(٥) معراج المنهاج : ٢٠١ - ٢٠٢ .

(٦) شرح العقيدة الطحاوية : ١١١ ، وشرح جوهرة التوحيد : ٤٧ ، وحاشية الباجوري على متن السنوسية ، لإبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن أَحْمَد البَاجُوْري شيخ الأَزْهر ، (ت١٢٧٧هـ) ، والمتن لأبي عبدالله محمد بن محمد بن يوسف السنوسي ، (ت٨٩٥ هـ) ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، مصر ، بلا تاريخ : ٤٣ .

(٧) فتح الباري: ١ / ٦٠ ، وشرح العقائد النسفية : ١٤٩ ، وشرح الفقه الأكبر : ٦٩ ، وشرح جوهرة التوحيد : ٤٧ ، وحاشية الباجوري : ٤٧ .

(٨) المواقف: ٣٨٤ .

(٩) مَعَالِم التَّنْزِيل المعروف بـ(تَفْسِيْر البغوي) ، لأبي مُحَمَّد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ، (ت٥١٦هـ) ، تحقيق : خالد العك ، ومروان سوار ، دار المَعْرِفَة ، بَيْرُوْت ، ط٢ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م : ١٢٦/١ ، و زَاد المَسِيْر فِي علم التَّفْسِيْر ، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن مُحَمَّد المعروف بابن الجوزي ، (ت٥٩٧هـ) ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط ، المكتب الإسلاميّ للطباعة والنشر ، بَيْرُوْت ، ط٣ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٩٠م : ١٤/٣ ، و الدُّرّ المَنْثُور ، لعبدالرحمن بن الكمال جلال الدِّين عبدالرحمن بن أَبِي بَكْر السُّيُوطي ، (ت٩١١هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بَيْرُوْت ، ١٩٩٣م : ٣٥٧/١ ، وتفسير الجلالين ، جلال الدين محمد بن احمد المحلي و جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، مذيلاً بكتاب لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، قدّم له وعلّق عليه العلاّمة محمد كريم بن سعيد راجح ، مكتبة النهضة ، بغداد ، دط ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤ م : ٣٠ ، وحاشية الباجوري : ٤٤ ، وحاشية الأمير : ٥٥ .

(١٠) ينظر: شرح جوهرة التوحيد : ٤٧ - ٥٧.

(١١) ينظر: النبراس : ٣٩١.

(١٢) فتح الباري : ١ / ٦٠ .

(١٣) شرح الفقه الأكبر : ٦٩ .

(١٤) فتح الباري : ١ / ٩٨ .

(١٥) شرط الكمال : هو الشرط الذي لا يبطل معه العمل عند فقده ، وإنما ينقصه؛ بخلاف شرط الصحة فإن فقده يبطل العمل . كشف الأسرار : ٥٨٧/٢ .

(١٦) شرح جوهرة التوحيد : ٥٧ .

(١٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة : ٤ / ٨٤٩ - ٨٥٠ .

(١٨) ينظر : الإبانة : ص٨ ، وشرح جوهرة التوحيد : ٥٣ ، وشرح العقائد النسفية : ١٤٩ .

(١٩) وهو قول سلفية الحجاز بكل توجهاتهم . ينظر : شرح الطحاوية لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ : ٣٠١.

(٢٠) من ذلك قول الدكتور سفر الحوالي : " الحكم الصحيح في الأشاعرة أهم من أهل القبلة لا شك في ذلك، أما أنهم من أهل السنة فلا " منهج الأشاعرة في العقيدة : ٢٢ . ويقول الدكتور محمد باركيم : " الذي أميل إليه أن لا يقال الشاعرة من أهل السنة إلا بقيد ، هم من أهل السنة في كذا ، في الأبواب التي لم يخالفوا فيها مذهب أهل السنة " . وسطية أهل السنة : ٨٩ . ويقول صالح الفوزان في تعقيبه على مقالات الصابوني : " ليسوا (الأشاعرة) منهم (أي من أهل السنة) في باب الصفات وما خالفوا فيه ، لاختلاف مذهب الفريقين في ذلك " . البيان لأخطاء بعض الكتاب : ٢٨ .

(٢١) ينظر : مُعْجَم مَقَاييس اللُّغَة ، لأبي الْحَسَن أَحْمَد بن فارس بن زكريا ، (ت٣٩٥ هـ) ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، دار الفكر ، بَيْرُوْت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م : مادة (كفر) : ٥ / ١٩١ ، والمُفْرَدَات فِي غَرِيب الْقُرْآن ، لأبي القاسم الحسين بن مُحَمَّد المعروف بالراغب الأصفهاني ، (ت٥٠٢هـ) ، دار القلم ، دمشق ، بلا تاريخ : ٧١٤ ، ولِسَان العَرَب ، لأبي الْفَضْل جمال الدِّين مُحَمَّد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، (ت٧١١هـ) ، دار صادر ، بَيْرُوْت ، لَبْنَان ، ط١ ، ١٩٦٨م : مادة (كفر) ٥ / ١٤٤ ، وتَاج العَرُوْس من جَوَاهِر الْقَامُوس ، لمحيي الدِّين أَبِي الْفَضْل مُحَمَّد مرتضى الحسيني الواسطي الْحَنَفِيّ الزَّبَيْدِيّ ، (ت١٢٠٥هـ) ، مكتبة الحياة ، بَيْرُوْت ، بلا تاريخ : مادة (كفر) ١٤ / ٥٠ .

(٢٢) ينظر : مُعْجَم مَقَاييس اللُّغَة : مادة (كفر) : ٥ / ١٩١ ، والمُفْرَدَات فِي غَرِيب الْقُرْآن : ٧١٤ ، ولِسَان العَرَب : مادة (كفر) ٥ / ١٤٤ ، وتَاج العَرُوْس : مادة (كفر) ١٤ / ٥٠ .

(٢٣) ينظر : مُعْجَم مَقَاييس اللُّغَة : مادة (كفر) : ٥ / ١٩١ ، والمُفْرَدَات فِي غَرِيب الْقُرْآن : ٧١٤ ، ولِسَان العَرَب : مادة (كفر) ٥ / ١٤٤ ، وتَاج العَرُوْس : مادة (كفر) ١٤/ ٥٠ .

(٢٤) الإحْكَام فِي أُصُول الأَحْكَام . لأبي مُحَمَّد علي بن أَحْمَد بن حزم الأندلسي ، (ت٤٥٦ هـ) ، دار الْحَدِيث ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٠٤هـ : ٤٩/١ .

(٢٥) المحصول في علم الأصول ، لمحمد بن عمر بن الحسين الرازي ، (ت٦٠٦هـ) ، تحقيق : طه جابر فياض العلواني ، جامعة محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٠هـ : ٤٦/٦ .

(٢٦) الفروق ، لشهاب الدِّين أَبِي العباس أَحْمَد بن إدريس المالكي المشهور بالقرافي ، (ت٦٨٤هـ) ، دار إحياء الكتب العربية ، بيروت ، بلا تاريخ : ٤/ ١٢٧٧ .

(٢٧) الصلاة وحكم تاركها وسياق صلاة النبي من حين كان يكبر إلى أن يفرغ منها ، لأبي عبدالله مُحَمَّد بن أَبِي بَكْرٍ أيوب الزرعي المعروف بـ(ابن قيم الجوزية) ، (ت٧٥١هـ) ، تحقيق : بسام عبدالوهاب الجابي ، الجفان والجابي بقبرص ، و دار ابن حزم بيَيْرُوْت ، ط١ ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م : ٧٢ .

(٢٨) مختصر الصواعق المرسلة عَلَى الجهمية والمعطلة ، لأبي عبدالله مُحَمَّد بن أَبِي بَكْرٍ أيوب الزرعي المعروف بـ(ابن قيم الجوزية) ، (ت٧٥١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٣م : ٦٢٠ .

(٢٩) المواقف : ٣٨٨ .

(٣٠) فتاوى السبكي ، لأبي الحسن تقي الدين علي بن عبدالكافي السبكي ، (ت٧٥٦هـ) ،دارالمعارف ، مصر ، بلا تاريخ : ٥٨٦/٢ .

(٣١) المنثور فِي القَوَاعِد ، لأبي عبدالله مُحَمَّد بن بهادر بن عبدالله الزركشي ، (ت٧٩٤ هـ) ، تحقيق : تيسير فائق أَحْمَد محمود ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة ، الكويت ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ : ٨٤/٣

(٣٢) الصواعِق المُحرِقة فِي الرَّد عَلَى أهل البِدَع والزَّنْدَقة ، لأبي العباس أَحْمَد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن علي بن حجر الهيتمي ، (ت٩٧٤هـ) ، تحقيق :عبدالرحمن بن عبدالله التركي ، وكامل مُحَمَّد الخراط ، مؤسسة الرِسَالَة ، بَيْرُوْت ، ط١ ، ١٩٩٧م : ١٣٢ .

(٣٣) إرشادأولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب، عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦ هـ) ،مكتبة الرشد، الرياض ، بلا تاريخ : ١٩١ .

(٣٤) الإيمان ، حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة ، عبد الله بن عبد الحميد الأثري ، مدار الوطن للنشر ، الرياض، ط١ ، ١٤٢٤هـ : ١١٣.

(٣٥) أصول الدين : ٢٤٩ .

(٣٦) الملل والنحل ، لمُحَمَّد بن عبد الكريم بن أَبِي بَكْرٍ أَحْمَد الشهرستاني ، (ت٥٤٨هـ) ، تحقيق : مُحَمَّد سيد كيلاني ، دار المَعْرِفَة ، بَيْرُوْت ، ط١ ، ١٤٠٤هـ : ١٣٢.

(٣٧) ينظر : الإبَانَة عن أُصُول الديانة ، لأبي الْحَسَن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري ، (ت٣٢٤هـ) ، تحقيق : د . فوقية حسين محمود ، دار الأنصار ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٩٧هـ : ٣٣/١ ، والفصل فِي الملل والأهواء والنحل : ٣٥/٢ .

(٣٨) ينظر : شرح العقائد النسفية للتفتازاني : ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ومجموع الحواشي : ١٦٩ ، ٢٠٤ .

(٣٩) ينظر : مقالات الإسلاميين : ١٥٦ - ١٥٧ ، أحكام القرآن لابن عربي : ٦٢٤/٢ ، والفرق بين الفرق : ٥٥ ، والتبصير في الدين : ٢٦ ، ومفاتيح الغيب : ٥/١٢-٦ .

(٤٠) ينظر : العقيدة الإسلامية وأسسها، الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، طبعة دار القلم، بيروت، ط٢، ١٣٩٩ه ــ ١٩٧٩م: ص٣٠ ــ ٣٣.

(٤١) ينظر : معنى الإيمان والإسلام، لسلطان العلماء عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام السُلمي الشهير بالعز بن عبد السلام (ت٦٦٠ه)، تحقيق: أياد خالد الطباع، طبعة دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤١٣ه ــ ١٩٩٢م: ص١٤.

(٤٢) ينظر: معنى الإيمان والإسلام: ص٩.

(٤٣) ينظر: الفقه الأكبر، للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤ه)، تحقيق: الشيخ محمد ياسين عبد الله، طبعة مكتبة الفكر العربي، بغداد، دون رقم وتاريخ: ص١٢٣؛ شرح المقاصد، للإمام سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (ت٧٩٣ه)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢ه ــ ٢٠٠١م: ٤٢١/٣.

(٤٤) ينظر: جامع البيان، للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١م: ١٨٦/٢.

(٤٥) ينظر: جامع البيان، الطبري: ٦٤٢/١٥.

(٤٦) ينظر: تأويلات أهل السنة، للإمام أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (ت٣٣٣ه)، تحقيق: الدكتور مجدي باسلوم، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦ه، ٢٠٠٥م: ٢٦٣/٧.

(٤٧) ينظر: النكت والعيون، للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن محمد البصري الشهير بالماوردي (ت٤٥٠ه)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، دون رقم وتاريخ: ٢١٢/٣.

(٤٨) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، بالرقم (١٣٩٧)، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦ه)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، طبعة دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢ه، ٢٠٠١م: ١٠٥/٢.

(٤٩)رواه الحاكم بإسناد صحيح، كتاب التفسير، تفسير سورة التوبة، بالرقم (٣٢٧٧)، المستدرك على الصحيحين، للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري (ت٤٠٥ه)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١ه، ١٩٩٠م: ٣٦٢/٢.

Abstract

The value of the study lies in the fact that it seals with a universally sensitive issue . The takfiri thought is based upon extremist fatwas with such historical roots that are never acceptable by any Muslim.

The terminology of theism and atheism are tackled in two chapters each provided with sufficient evidence from the Holy Quran and prophetic tradition. The result of the study completely rejects all kinds of extremism and that Islam is already based upon respecting the human despite their race , colour and religion and that it believes in the civil co-living.

Social peace is the pole of the human civilization .

العدد
٥٧

٢٢
رجب
١٤٤٠هـ

٣٠ آذار
٢٠١٩م